

السیرة النبویة عند خواجة غلام فرید

الدکتور محمد اقبال*

الدکتور عبد المجید البغدادی**

Abstract

Sufi saints played a vital role in preaching Islam in Afghanistan, Pakistan and India in their special way which made so many people embrace Islam, they lit the candle of right path in their hearts and Khawaja Ghulam Fareed is one of those saints. Though Khawaja Ghulam Fareed is a Sufi poet. Khawan Ghulam Fareed is a born poet. His spontaneous poetry is marked with literature desire of seeing Holy Prophet (صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ), among separation from the beloved Prophet (صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ), love for sacred places of Islam and especially Madina, the city of Prophet (صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ). This article explores Khawaja Ghulam Fareed's poetic expression of devotion in the life of Holy Prophet (صَلَّى اللّٰهُ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ).

Key Words: Sufi, Afghanistan, Pakistan, India, Khawaja Ghulam Fareed, Saint, Madina, Islam

يعد "خواجة غلام فرید" (۱۲۶۱ھ / ۱۳۱۹ھ) من شعراء جنوب بنجاب الممتازين في جمهورية باكستان الإسلامية، وشعره مليء بالصور الجميلة والمعاني اللطيفة، وأكثر قصائده

*محاضر اللغة العربية بكلية الحكومية، كھوٹہ راولپنڈی

**الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، جامعة العلامہ اقبال المفتوحة، إسلام آباد

و مقطوعاته قد تمت بصلة إلى الآيات القرآنية والأحاديث البهية كأنهما المنبعان الأساسيان لقاموسه اللغوي واستلهام أفكاره.

وهو كان يجيد اللغات المختلفة كالسرائيكية والفارسية والعربية والفارسية والسنديه على المستوى المطلوب، ويشهد على براعته فيها شعره الذي كان ينشده بالطلاقه، وبصفة خاصة ديوانه المسمى بـ "ديوان فريد" في اللغة السرائيكية الذي يشتمل على ٢٧٢ قصيدة، وهذا الديوان احتل مكانة سامية في اللغة السرائيكية وأدابها، وازدهر جمال هذه اللغة باستخدام تراكيب اللغة العربية و كلمات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومعانيهما في مواضع متعددة من شعره.

وقد كتب كثيرون من العلماء البارزين عن شعره في اللغتين الأردية والسرائيكية، ويقدّر أهل الثقافة وعامة الناس شعره لما يحمله من النصائح الطيبة والإرشادات الراقية والمواعظ الحسنة وحِب الله تعالى وحب رسوله الكريم، وذلك بذله جهوداً مضنية طيلة عمره في الدعوة الإسلامية بشعره، وزادت أهمية شعره البارع بما اشتهر على لسان الناس صغيرهم وكبيرهم وجالهم وعالهم.

ولا شك عندما نقرأ شعره، نراه مليئاً بملامح السيرة النبوية من حبِّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحبِّ مدینته العالية خاصَّةً وحبِّ العرب وعاداتهم ووطنهم عامَّةً، لأنَّه نظم قصائد متعددة في فضل حبِّ الله تعالى وحبِّ رسوله الكريم ﷺ ووصف الحجَّار المقدَّس وبلداته العاليتين بالإضافة إلى بيان عظمة الحرمين من الكعبة المشرفة والروضة الخضراء، ونرى كلمات القرآن الكريم وألفاظ الأحاديث النبوية وتلميحيات وقائع السيرة النبوية مبعثرة عند وصف هذه الأماكن المقدَّسة وبيان فضلها في أماكن عديدة من شعره في أسلوب متفردٍ كأنَّ هذه الكلمات والألفاظ كانت جزءاً من أول يوم.

ورغم عظمة خواجة غلام فريد ورسوخ قدمه في الشعر السرائيكي لم يحظ بعناية باللغة من قبل القادة والأدباء لأن أهل الثقافة لم يكتبوا حول شخصيته وشعره في اللغة، وما أضافوا أشيئراً جديداً في المكتبة العربية مع أن الشاعر خواجة غلام فريد كان يحب العرب وعاداتهم حباً كثيراً، ويكثر ذكرهم في أشعاره.

لذا اخترنا لهذا البحث بعنوان: "السير النبوية في صورة المديح عند خواجة غلام فريد" ممثلة في حب الله تعالى وحب رسوله الكريم، والحنين إلى الحجاز المقدس ووصف بلدته الكريمتين من مكة المشرفة والمدينة المنورة وتبين فضائل الحرمين المكي والمدني لعدة عوامل، منها:

- 1 كون شعر خواجة غلام فريد البارع مشتهراً على ألسنة الناس صغيرهم وكبيرهم وجالهم وعالهم.

-2 وانبهارنا بأسلوبه المتفاوت من بين شعراء اللغة السرائيلية الآخرين حيث جمع بين الجمال في الصورة والمعنى.

-3 كثرة أخذه من القرآن الكريم شكلاً ومضموناً، ثم توظيف كلمات الأحاديث النبوية والمفردات العربية والأفكار الإسلامية، وعلى رأسها حبُّ الله تعالى وحبُّ رسوله الكريم ﷺ، والحنين إلى الحجاز المقدس ووصف بلدتيه الكريمتين من مكة المشرفة والمدينة المنورة وتبيين فضائل الحرمين المكي والمدني.

-4 إن خواجة غلام فريد رغم كونه شاعراً عظيماً ورجلاً عبقرياً لم يكتب حوله في اللغة العربية حسب منزلته السامية ومكانته العظمى لدى علماء وشعراء شبه القارة.

لذا نذكر هنا في هذا المقال المتواضع شيئاً عن السيرة النبوية والتعريف بالشاعر خواجة غلام فريد وثقافته العلمية من العلوم والفنون واللغات، وأسلوب شعره، وملامح السيرة النبوية في شعره.

أولاً-السيرة النبوية

أ-السيرة لغة

ووردت هذه الكلمة في القاموس المحيط لفیروزآبادی:

"السَّيِّرُ: الْذَّهَابُ، وَسَارِيَسِيرٌ سَيِّرًا وَمَسِيرًا وَسِيرَوْرَةً..... وَالتَّسِيَّارُ: تَفْعَالُ
مِنَ السَّيِّرِ..... وَسَيِّرَهُ مِنْ بَلْدَهُ: أَيْ أَخْرَجَهُ وَأَجْلَاهُ..... وَسَيِّرَتُ الْجَلَ عنْ ظَهَرِ
الْدَّابَّةِ: نَزَعْتَهُ عَنْهُ..... وَالسَّيِّرَةُ: السُّنَّةُ وَالطَّرِيقَةُ، يَقَالُ: سَارَ بِهِمْ سَيِّرَةً حَسَنَةً،
وَالسَّيِّرَةُ: الْهَيَّةُ، وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدُ: "سَنَعِدُهَا سَيِّرَتَهَا الْأُولَى" ، وَسَيِّرَةُ
حَدَثٍ أَحَادِيثُ الْأَوَّلَى، وَالسَّيِّرُ: هُوَ الْذَّهَابُ كَالْمَسِيرِ وَالتَّسِيَّارِ
وَالْمَسِيرَةُ وَالسِّيرَوْرَةُ. وَالسَّيِّرَةُ: الْضَّرَبُ مِنَ السَّيِّرِ، وَالسَّيِّرَةُ بِالْكَسْرِ: السُّنَّةُ
وَالطَّرِيقَةُ وَالْهَيَّةُ۔" (۳)

ا-السیرۃ اصطلاحاً:

السیرۃ فی الاصطلاح هي: "بحث يقدّم فيها الكاتب حياته أو حياة أحد الأعلام المشهورين، ويبرز فيها المنتجات التي تحققت في حياته أو حياة المتحدث عنه، أما فن السیرۃ في التعريف الأدبي هو: نوع من الأدب يجمع بين التحری التاریخی، ویراد به مسیرة حیاة الإنسان ورسم صورة دقيقة لشخصیته۔" (۲)

ب-السیرۃ النبویة:

والسیرۃ النبویة: "هي تعنی مجموع ما ورد من وقائع حیاة النبي -صلی الله علیه وسلم- وصفاته الخلقیة والخلقیة،منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث وواقع حتى موته، وتشتمل على ميلاده ونسبه، ومکانة عشيرته، وطفولته وشبابه، وواقع بعثته، ونزول الوحي علیه، وأخلاقه، وطريقة حیاته، ومعجزاته التي أجرأها الله تعالی علی يديه، ومراحل الدعوة المکتبة والمدنیة، وجہاده وغزوته. وقد تكون السیرۃ مراده لمعنى السُّنَّة عند علماء الحديث، وهو ما أضيف إلى النبي من قولٍ أو فعلٍ أو تقریرٍ أو صفةٍ، كما تعنی عند علماء العقيدة وأصول الدين طریقة النبي وهدیه، أما عند علماء التاريخ فإنها تعنی أخباره ومحازیه۔" (۵)

وقال الله تعالی: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا۔" (۶) فنحن مکلفون بالاقتداء برسول الله -صلی الله علیه وسلم-، ولن نتمكن من الاقتداء والتأسی به ما لم نفقه سیرته وندر سها ونتعرف عليها، وإن كانت السیرۃ النبویة هي ما

ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، فأفعال النبي - صلى الله عليه وسلم - تبرز أكثر ما يكون في السيرة. ونحن مكلّفون باتباع خيرة هذه الأمة، وأن لا نخرج على سنتهم وهم بهم كما قال الله تعالى: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهر خالدين فيها أبداً، ذلك الفوز العظيم".^(۷)

ثانياً: التعريف بالشاعر خواجة غلام فريد

أ- نسبة: خواجة غلام فريد بن خواجة خدا بخش بن أحمد علي بن قاضي محمد عاقل بن مخدوم شريف بن محمد يعقوب بن نور محمد بن محمد زكريا، إلى أن ينتهي نسبة إلى

سيِّدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه.^(۸)

ب- مولده: ولد خواجة غلام فريد في قرية "چاچزان" من أعمال رحيم بار خان في إقليم بنجاب سنة ۱۲۲۱ هـ ۱۸۲۵ م^(۹)، وتوفي في قرية "کوٹ مہن" عام ۱۳۱۹ هـ ۱۸۵۲ م^(۱۰).

ج- نشأته: نشأ خواجة غلام فريد وترعرع في حضن أسرة كريمة ومتدينة، وكان والده خواجة خدا بخش (۱۸۵۲ م) عالماً مرموقاً وصوفياً تقىً في عصره، فلا غبار على أن خواجة يرتوى من هذا المنهل العذب والفضاء العلمي، ويتربي ويترعرع على الفضائل الحميدة والأخلاق الطيبة.

ثالثاً- ثقافة خواجة غلام فريد العلمية

أ- العلوم والفنون التي تعلمها خواجة:

حفظ القرآن الكريم في المدارس الابتدائية، ثم أكمل العلوم الإسلامية والفنون المتداولة كالتفسيـرـ والـحدـيـثـ والـفقـهـ والـكـلامـ والـصـرـفـ والنـحـوـ والـبـلـاغـةـ وـغـيـرـهـ وـفـقـالـلـمـنهـجـ التعليمـيـ "الـدـرـسـ النـظـامـيـ"^(۱۱) السـائـدـ فـيـ شـبـهـ القـارـاءـ الـهـنـدـيـةـ تـحـتـ إـشـرـافـ أـخـيـهـ الـكـبـيرـ خـواـجـةـ غـلامـ فـخـرـ الدـيـنـ (۱۲۳۲ هـ ۱۸۸۸ مـ) الـذـيـ كـانـ عـالـمـاـ جـلـيـلاـ وـصـوـفـيـاـ كـبـيـراـ وـشـاعـرـاـ مـرـمـوقـاـ^(۱۲)، فـتـخـرـجـ خـواـجـةـ مـنـ الـمـدـرـسـةـ الـقـدـيـمـةـ الـتـيـ أـسـسـهـاـ جـدـهـ الـأـعـلـىـ قـاضـيـ مـحـمـدـ عـاقـلـ (۱۲۲۹ هـ ۱۱۲۹) فـيـ عـصـرـهـ، وـكـانـ يـدـرـسـ فـيـهـ الـعـلـمـاءـ الـعـبـاقـرـةـ وـالـأـسـاتـذـةـ الـأـفـذـاذـ، وـالـتـيـ

تخرـ ج منها كبار العلماء والشيوخ لشبـه القارـ (۱۳)

وبعد إكمال خواجة العلوم الدينية أراد تعلم الفنون الأخرى أمثال الموسيقى والشعر والأنساب والجغرافيا والجفر وحساب الجمل فاجتهد في تلقـها ونفعـ فيها كما ذكر حفيـده خواجة طاهر محمود كوريـحة في كتابـه (۱۴) قائلاً: "إن خواجة غلام فـريـد بـرع في عـلوم شـئـ وفنـون متـعدـة كالـتفسـير والـحدـيث والـفقـه والـفلـسـفة والـتـارـيخ والـسـيـرة والـتصـوف والـموـسيـقـى والـنـجـوم والـجـفـر والـرـمـل وغيرـها منـ العـلـوم الـتي لا تـعـدـ ولا تـحـصـي كـأنـه كانـ مـجـمـعـ العـلـوم وـ دائـرةـ المـعـارـفـ".

وـ كانت لـ خواجة غـلام فـريـد - رـحـمه اللهـ تـعـالـى - عـلاقـة وـثـيقـة بـالـعـلـوم الـديـنـيـة وـالـمـعـارـفـ المـختـلـفة، وبـصـفـة خـاصـةـ كـانـ لـإـمامـ شـدـيدـ بـالـتصـوفـ وـ قـضـاـيـاهـ الـدقـيقـةـ وـ كـانـ يـرـغـبـ فـيـ الـبـحـثـ وـ الـمـذـاكـرـةـ، كـماـ يـقـولـ الدـكـتوـرـ مـحمدـ أـفـضـلـ رـبـانـيـ فـيـ مـقـالـهـ عنـ خـواـجـةـ غـلامـ فـريـدـ: "كـانـ خـواـجـةـ غـلامـ فـريـدـ رـاغـبـ فـيـ الـبـحـثـ وـ الـدـرـاسـةـ وـ الـعـلـومـ وـ الـمـعـارـفـ الـمـخـتـلـفـةـ، وبـصـفـة خـاصـةـ كـانـ يـبـحـثـ فـيـ مـسـائـلـ التـصـوفـ بـدـقـةـ، وـ يـشـهـدـ عـلـىـ بـرـاعـتـهـ الـعـلـمـيـةـ ماـ كـتبـهـ أوـ جـمـعـ ماـ أـلـقـاهـ مـنـ مـحـاضـراتـهـ الـعـلـمـاءـ الـآخـرـونـ مـثـلـ "رسـالـةـ فـوـانـدـ فـريـدـيـةـ" وـ "مـلـفـوـظـاتـ مـقـابـيسـ الـمـجاـلسـ" وـ "مـنـاقـبـ فـريـدـيـ" وـ "إـرـشـادـاتـ فـريـدـيـ"، وـ كـانـ الشـيـخـ مـتـمـسـكـاـ بـالـشـرـيعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ تـمـسـكـاـ شـدـيدـاـ وـ مـحـارـبـاـ لـلـبـدـعـ الـسـيـئةـ وـ الـخـرـافـاتـ وـ الـعـادـاتـ الـبـاطـلـةـ" (۱۵).

وبـعـد تـخرـجـهـ مـباـشرـةـ بـدـأـ خـواـجـةـ غـلامـ فـريـدـ يـدـرـسـ نـفـسـ الـعـلـومـ وـ الـفـنـونـ فـيـ مـدرـسـةـ جـدـهـ الـقـدـيمـةـ (۱۶)، ثـمـ جـلـسـ عـلـىـ مـجـلـسـ الإـرـشـادـ وـ الـهـدـاـيـةـ عـنـدـمـاـ تـرـقـيـ أـخـوـهـ سـنـةـ ۱۲۸۸ـهـ، وـعـمـرـهـ لمـيـتـجـاـوزـ الثـامـنـةـ وـ الـعـشـرـينـ" (۱۷).

بـ- مـعـرـفـةـ الـلـغـاتـ الـمـخـتـلـفـةـ

خـواـجـةـ غـلامـ فـريـدـ كـانـ يـجيـدـ لـغـاتـ شـتـىـ كـالـسـرـائـيـكـيـةـ وـ الـفـارـسـيـةـ وـ الـعـرـبـيـةـ وـ الـهـنـدـيـةـ وـ الـسـنـدـيـةـ عـلـىـ الـمـسـتـوـىـ الـمـطـلـوبـ (۱۸)، كـماـ يـقـولـ مـسـعـودـ حـسـنـ شـهـابـ موـضـيـاتـ فـصـيـلـهـ: "إـنـ خـواـجـةـ تـعلـمـ الـعـرـبـيـةـ وـ الـفـارـسـيـةـ لـيـتـلـقـيـ الـعـلـومـ الـإـسـلـامـيـةـ وـ الـشـرـعـيـةـ، وـعـنـدـمـاـ بـرـعـ فـيـ الـعـلـومـ الـإـسـلـامـيـةـ وـ الـشـرـعـيـةـ، بـدـأـ يـتـعـلـمـ وـ يـتـقـنـ الـلـغـاتـ الـأـخـرـىـ مـثـلـ الـسـنـدـيـةـ وـ الـهـنـدـيـةـ وـ الـبـورـيـةـ، حـتـىـ

يستفيد من ثقافات تلك اللغات و ثرواتها العلمية، وأيضاً كانت له علاقة بسيطة بالإنجليزية واللاتينية.^(۱۹)

ولم يتقدّم خواجة هذه اللغات على المستوى الذي يساعد في مجال الاستفادة منها فحسب، بل استخدم مصطلحات تلك اللغات عند قرض الشعر فيها^(۲۰)، وازدادت أهمية شعره البارع بما اشتهر على ألسنة عوام الناس وخواصهم تلقائياً.^(۲۱)

ونستخرج مما سبق بأن شاعرنا خواجة غلام فريد توارث العلوم المتداولة من آبائه وأجداده، وتلقى العلوم الأخرى ومعرفة اللغات بالقراءة الشخصية، وكان رجلاً عبقرياً اتفوق في مجال العلم والأدب على جميع علماء عصره، والدليل على ذلك هو كونه في صالٍ و حكماء بين فريقيين من كبار علماء البنجاب والهند في المناقضة التي عقدت في ولاية بهاولفور تحت إشراف أمير الولاية في سنة ۱۸۸۹ هـ ۱۳۰۲ هـ، فاتفق علماء الفريقيين واعتمدوا على اختياره حكماً، مع أنهم كانوا ينتمون إلى آراء متفاوتة وخلافات شديدة في المسائل الفروعية المتعددة.^(۲۲)

ج- أسماء الكتب السماوية والمصنفات العلمية والعلوم المختلفة

نتعرف من خلال دراسة ديوانه المسمى "ديون فريد" باللغة السرائيليكية، جانباً من جوانب إمامه بالكتب السماوية والمصنفات العلمية وأسماء العلوم المختلفة، ونكتفي هنا بذكر اسم الكتاب مشيراً إلى أرقام القصائد الواردة في "ديوان فريد"، فجاء ذكر القرآن في القصائد: 3، 59، 60، 90، 93، 132، 134، 200، وذكر التوراة في القصيدتين: 3، 155، وذكر الزبور في القصيدة رقمها: 3، وذكر الإنجيل في القصيدة رقمها: 3، وذكر "الصحف" في القصيدة: 4.

وكما وردت أسماء الكتب العلمية مثل "الهدایة" للعلامة الإمام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي في الفقه الحنفي في القصيدة رقمها: 200، و"الوقاية" للشيخ عبيد الله بن مسعود الملقب بـ "صدر الشريعة" في الفقه الحنفي في القصيدة رقمها: 200، و"مشكاة المصايح" للشيخ محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي في الحديث في القصيدة

رقمها: 23، و "كنز الدقائق" للشيخ حافظ الدين النسفي في الفقه الحنفي في القصيدة رقمها: 119، و "القدوري" للشيخ محمد بن جعفر بن حمدان المعروف بـ "القدوري" في الفقه الحنفي في القصيدة رقمها: 119، و "ملل ونحل" للشيخ ابن حزم في علم الكلام في القصيدة رقمها 110.

وهكذا نرى أسماء العلوم المختلفة في "ديوان فريد" مثل "الصرف" في القصيدتين: 50، 247، و "النحو" في القصيدتين: 50، 84، والمنطق في القصيدتين: 50، 84، و "الفقه الإسلامي" جاء ذكره في القصائد: 23، 50، 72، 119، 264.

نرى من هنا مدى إمامته بالعلوم والفنون وكتابها، وهي التي تشهد على غزارة علمه وسعته فيها.

رابعاً- أسلوب خواجة غلام فريد في شعره

قد اتفق سائر باحثي المدرسة الفريدية على أن خواجة غلام فريد كان من الشعراء المطبوعين والملهمين، بدأ ينظم الشعر منذ صغر سنه وطفولته، كما قال الباحث مسعود حسن شهاب:

"منح الله تعالى خواجة غلام فريد قدرة كاملة في نظم الشعر حيث قد كان ينظم قصيدة كاملة في عشر دقائق".^(٢٣)

والمعروف عنه بأنه ما كان يستغل بإلقاء الشعر في كل الأوقات، ولكن كلما يتوجه إليه يأتي المعاني أمامه صفة صفاء، وشأنه كان في مجال الشعر كشاعر ملهم فعنده ماترد عليه الأفكار يُشد وإلا فلا، حيث قال عنه الأستاذ دلشاد الكلانچوي: "وما كان خواجة يقول الشعر إلا في حالة وجده فكانه ملهم به وبقوله مرتجلًا"^(٢٤)، بالإضافة إلى بساطة أسلوب البيان الذي يتاثر منه سائر المتكلمين سوياً.^(٢٥)

وكم قال الباحث البريطاني الدكتور كروستوفر شيكيل^(٢٦) عن شعر خواجة غلام فريد: "لا يوجد نظير لشعر خواجة الجميل في مجال التصوف الإسلامي لأن فهم خواجة الصوفي متفوق عن النقد، لأنه حاز الدرجة العليا أي مقام الفنان، وكان شاعرًا ملهمًا".^(٢٧)

أ-اقتباس

من أهم ما يميـز أسلوب خواجة غلام فريـد كثـرة الاقتبـاسات من القرآن بالدرـجة الأولى ومن الحديث النبوـي بالدرـجة الثانية، وأخـيرـاً من الأدب العـربيـ، فقال الدـكتـور كـرسـتـوفـ شـيكـلـ عن شـعر خـواجـة بـأنـ: "لغـة شـعرـه هي السـرـائـيـكـيـةـ، ولـكنـ قدـ يـأتـيـ فيـ شـعرـهـ بكلـماتـ اللـغـاتـ المـخـتـلـفـةـ كالـعـربـيـةـ وـالـفـارـسـيـةـ وـالـبـنـجـابـيـةـ وـغـيـرـهـ، وـكـمـ يـقـبـسـ منـ نـصـوصـ الآـيـاتـ القرـآنـيـةـ وـالـأـحـادـيـثـ النـبـوـيـةــ" (۲۹).

وكـماـ قالـ الدـكتـورـ مـحمدـ مـحـمـدـ أـفـضـلـ رـبـانـيـ قـائـلاـ: "وـأـمـاـ دـيـوـانـهـ كـكـلـ فـهـوـ مـحـلـيـ بـالـتـرـاكـيـبـ العـربـيـةـ، وـبعـضـ قـصـائـدـهـ مـقـبـسـةـ مـنـ الآـيـاتـ القرـآنـيـةـ وـالـأـحـادـيـثـ النـبـوـيـةـ وـالـكـلـمـاتـ العـربـيـةـ وـالـشـفـافـةـ العـربـيـةـ، وـهـذـاـ يـشـهـدـ عـلـىـ إـتقـانـ الشـاعـرـ وـمـهـارـتـهـ لـلـعـلـومـ العـربـيـةـ وـالـشـرـعـيـةــ" (۳۰).

فـنـقـدـمـ هـنـاـ نـمـوـذـجـاـ مـنـهـاـ:

أ-اقتبـاسـهـ مـنـ القرآنـ الـكـرـيمـ:

خـواجـةـ غـلامـ فـريـدـ كـانـ عـالـمـاـ كـبـيـرـاـ وـصـوـفـيـاـ تـقـيـاـ فـاقـبـسـ مـنـ آـيـاتـ القرـآنـ الـكـرـيمـ مـسـتـدـلـاـ عـلـىـ الـأـفـكـارـ الـإـسـلـامـيـةـ حـتـىـ قـدـنـجـدـ بـعـضـ قـصـائـدـهـ مـمـلـوـقـةـ بـالـآـيـاتـ القرـآنـيـةـ وـأـسـمـاءـ سـوـرـ كـتـابـ اللهـ مـشـلـ الـقـصـيـدةـ رـقـمـهاـ: "۲۳ـ"ـ، فـورـدـتـ فـيـهاـ: «لـاـ يـدـرـكـهـ الـأـبـصـارـ» (۳۱)ـ، وـ«مـدـ الـظـلـ» (۳۲)ـ، وـ«الـلـلـيـلـ» (۳۳)ـ، وـ«نـ وـالـقـلـمـ» (۳۴)ـ، وـ«وـالـتـيـنـ وـالـزـيـتونـ» (۳۵)ـ، وـ«وـالـشـمـسـ» (۳۶)ـ، وـ«وـالـصـافـاتـ» (۳۷)ـ، وـ«الـشـفـعـ وـالـوـتـرـ» (۳۸)ـ، وـ«الـبـاقـيـاتـ» (۳۹)ـ.

بـ-اقـبـاسـهـ مـنـ الـحـدـيـثـ النـبـوـيـ:

نـرـىـ فيـ شـعـرـ خـواجـةـ غـلامـ فـريـدـ كـلـمـاتـ الـأـحـادـيـثـ النـبـوـيـةـ كـثـيرـةـ مـثـلـ: "لـوـ دـلـيـتمـ" (۴۰)ـ، وـكـاملـ الـحـدـيـثـ هـكـذاـ: «قـالـ وـأـيـمـ اللـهـ لـوـ دـلـيـتمـ أـحـدـ كـمـ بـحـبـلـ إـلـىـ الـأـرـضـ السـفـلـيـ السـابـعـةـ لـهـبـطـ ثـمـ قـرـأـهـ الـأـوـلـ وـالـآـخـرـ وـالـظـاهـرـ وـالـبـاطـنـ وـهـوـ بـكـلـ شـيـءـ عـلـيـمـ»ـ (۴۱)ـ، وـهـكـذاـ: "أـدـبـنـيـ رـبـيـ" (۴۲)ـ، فـالـحـدـيـثـ النـبـوـيـ الـكـامـلـ بـلـفـظـ: «أـدـبـنـيـ رـبـيـ فـأـحـسـنـ تـأـديـيـ» (۴۳)ـ

جـ-اقـبـاسـهـ مـنـ الـأـدـبـ الـعـربـيـ وـالـتـرـاكـيـبـ الـعـربـيـةـ:

أكـثر الشـعـراء المـسلـمـون في شـيـه القـارـة وـمـنـهـم خـواـجة غـلام فـرـيدـ، من اقتـباسـ الأـفـكارـ والـتـراـكيـبـ العـرـبـيـةـ مـثـلـمـانـ رـاهـافـيـ الآـيـاتـ الـآـتـيـةـ:

1- بـيـ شـكـ ضـربـ حـبـيـبـ زـبـيـبـ (۲۴)

2- پـلـوـتـےـ پـیـمـ نـصـیـبـ یـصـیـبـ (۲۵)

أـيـ: إـنـ ضـربـ حـبـيـبـ زـبـيـبـ أـيـ عـمـيقـ، إـنـيـ وـجـدـتـ ماـكـانـ مـكـتـوبـاـ فـيـ نـصـيـبـ.

3- لـاـ يـحـتـاجـ سـوـىـ اللـهـ

لـامـوـجـوـدـ إـلـاـ اللـهـ
ايـهـوـ فـقـرـدـاـ شـانـ

سـاـذـاـ دـيـنـ اـيمـانـ (۲۶)

أـيـ: نـحـنـ لـاـ نـحـتـاجـ إـلـىـ اللـهـ، وـهـذـاـ حـالـ الفـقـرـ وـالـتـصـوـفـ لـأـنـ اللـهـ هـوـ الـمـوـجـوـدـ فـقـطـ وـهـذـاـ هوـ مـنـ دـيـنـاـ وـإـيمـانـاـ.

4- هـ حـيـرـتـ سـكـهـ تـسـلـیـمـ وـرـضـاـ سـبـحـانـ اللـهـ، سـبـحـانـ اللـهـ (۲۷)

خـامـسـاـ- السـيـرـةـ الـبـوـيـةـ فـيـ شـعـرـ خـواـجةـ غـلامـ فـرـيدـ

مـنـ أـهـمـ مـلـامـحـ السـيـرـةـ الـبـوـيـةـ الـمـدـيـحـ النـبـوـيـ هـاـهـوـ كـالـتـالـيـ:

أـ- المـدـيـحـ النـبـوـيـ:

المـدـحـ بـعـنـيـ الـوـصـفـ الـجـمـيلـ، وـيـقـابـلـهـ الـذـمـ، وـالـمـدـحـ مـصـدـرـ، وـالـمـدـحـةـ بـالـكـسـرـةـ اـسـمـ،
وـالـأـمـدـوـحـ بـالـضـمـ: مـاـيـمـدـحـ بـهـ مـنـ الشـعـرـ، وـجـمـعـ مـدـيـحـ مـدـائـحـ، وـجـمـعـ أـمـدـوـحـةـ أـمـادـيـحـ (۲۸)

وـالـمـدـيـحـ بـاعـتـبارـهـ غـرـضـاـ مـنـ أـغـرـاضـ الشـعـرـ، شـاعـ فـيـ نـتـاجـ كـثـيرـ مـنـ شـعـراءـ الـعـربـ مـنـذـ
الـعـصـرـ الـجـاهـلـيـ أـمـثـالـ النـابـغـةـ الـذـبـيـانـيـ وـزـهـيرـ بـنـ أـبـيـ سـلـمـيـ حـيـنـمـاـ أـعـجـبـ شـعـراءـ الـجـاهـلـيـةـ
بـالـرـجـالـ الـمـتـفـوقـينـ مـنـ الـمـلـوـكـ وـالـوزـرـاءـ وـالـأـخـنـيـاءـ مـنـ حـيـثـ الـخـلـقـ وـالـشـجـاعـةـ وـالـكـرـمـ وـالـجـوـدـ
فـأـصـبـحـ حـرـفـةـ لـاـ كـتـسـابـ الـمـالـ.

وـلـمـ بـعـثـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ- صـلـیـ اللـهـ عـلـیـهـ وـسـلـمـ- فـیـ قـرـیـشـ، وـدـعـاـهـمـ إـلـىـ وـحدـةـ الـعـربـ
وـاجـتمـاعـهـمـ تـحـتـ دـيـنـ وـاـحـدـ وـرـایـةـ وـاـحـدـ، فـهـزـتـ دـعـوـتـهـ الـقـبـائـلـ وـرـؤـسـاءـهـمـ فـوـقـتـ بـيـنـ
مـصـدـقـةـ وـمـكـذـبـةـ، فـوـقـفـ لـهـ شـعـراءـ يـتـصـدـوـنـ لـلـهـجـاءـ عـلـیـهـ، فـالـمـدـيـحـ اـقـتـصـرـ عـلـىـ اـمـتـداـحـ خـصـالـهـ

و شمائـه و رسـلـه و إـشـادـه بـإـسـلامـ (۴۹)

ويراد بالمدائح البوية: التقرب إلى الله لنشر محسـنـ الدين و الشـاءـ على الرـسـولـ - صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ -، فـمدـحـ الأـنبـيـاءـ، وـبـصـفـةـ خـاصـةـ مـدـحـ النـبـيـ - صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ - أـنـ الدـافـعـ لـهـ هـوـ الحـبـ الصـادـقـ فـهـوـ لـاـ يـصـدـرـ إـلـاـ عـنـ قـلـوبـ مـفـعـمـةـ بـالـصـدـقـ وـالـإـخـلاـصـ، وـلـاـ يـرـادـ بـهـ إـلـاـ التـقـرـبـ إـلـىـ ذـاتـ اللهـ تـعـالـىـ، وـالـمـدـحـ بـأـنـوـاعـهـ الـأـخـرـىـ لـاـ يـكـوـنـ كـذـلـكـ، بلـ يـكـوـنـ لـغـرـضـ اـكتـسـابـ المـالـ وـغـيرـهـ.

والشعراء الذين قد اشتهرـوا بالمدـحـ النـبـويـ في تاريخـ الشـعـرـ العـرـبـيـ فـأشـهـرـهـمـ حـسـانـ بنـ ثـابـتـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - وـالـبـوـصـيرـيـ وـغـيرـهـمـ كـثـيرـونـ، وـمـنـ شـعـرـ حـسـانـ الـمـعـرـوفـ عنـ خـلـقـةـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ - صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ -:

وأـحـسـنـ مـنـكـ لـمـ تـرـ قـطـ عـيـنيـ
خـلـقـتـ مـبـرـأـ مـنـ كـلـ عـيـبـ (۵۰)
وـمـنـ أـهـمـ قـصـائـدـ الـبـوـصـيرـيـ هـيـ الـبـرـدـةـ الـتـيـ مـطـلـعـهـاـ:
أـمـنـ تـذـكـرـ جـيـرـانـ بـذـيـ سـلـمـ مـزـجـتـ دـمـعـاـ جـرـىـ مـنـ مـقـلـةـ بـدـمـ (۵۱)
وـهـكـذـاـ نـظـمـ الـبـوـصـيرـيـ قـصـيـدةـ أـخـرـىـ طـوـيـلـةـ سـمـاـهـاـ "ـأـمـ الـقـرـىـ"ـ فـيـ مـدـحـ خـيـرـ الـوـرـىـ،
وـهـيـ الـمـعـرـوفـةـ بـ"ـالـهـمـزـيـةـ"ـ مـطـلـعـهـاـ:

كـيـفـ تـرـقـىـ رـقـيـكـ الـأـنـبـيـاءـ
يـاـ سـمـاءـ ماـ طـاوـلـتـهـ سـمـاءـ (۵۲)
وـاسـتـمـرـ المـدـحـ الـبـوـيـ بـأـمـنـ أـبـوـابـ الـشـعـرـ العـرـبـيـ حـتـىـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ مـثـلـاـنـرـىـ أـمـيرـ
الـشـعـرـاءـ الـمـصـرـيـينـ أـحـمـدـ شـوـقـيـ يـمـدـحـ نـبـيـنـاـ - صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ -:
وـفـمـ الرـَّمـانـ تـبـسـمـ وـثـنـاءـ
لـلـدـيـنـ وـالـدـنـيـاـ بـهـ بـشـرـاءـ (۵۳)

وـلـلـمـدـحـ مـنـ حـيـثـ الـغـرـضـ الـشـعـرـيـ حـظـ وـفـيـرـ وـمـتـعـدـدـ الـمـلـامـحـ فـيـ شـعـرـ خـواـجـهـ غـلامـ
فـرـيدـ، وـخـاصـةـ يـوـ جـدـعـنـدـهـ شـوـقـهـ لـرـيـارـةـ الـحـبـيـبـ - صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ - وـفـرـاقـ الـحـبـيـبـ، وـدـوـامـ
ذـكـرـ الـحـبـيـبـ، وـدـوـامـ وـصـالـ الـحـبـيـبـ كـالـآـتـيـ:

١- شوق زيارـ الحبيبـ - صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:

حينما نلقـ نـظـرةـ عـلـىـ المـدـائـحـ النـبوـيـةـ عـنـ الشـاعـرـ غـلامـ فـرـيدـ يـتـفـرـدـ بـهـ مـنـ عـامـةـ شـعـراءـ
المـدـيـحـ النـبوـيـ مـاـعـدـاـ إـلـاـ إـمامـ الـبـوـصـيرـيـ الـذـيـ يـحـبـ رـسـولـنـاـ مـحـمـدـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - وـيـبـيـنهـ
فـيـ شـعـرهـ كـالـاتـيـ:

فـهـبـ لـيـ رـسـولـ اللـهـ قـرـبـ مـوـدـةـ
وـهـكـذـانـرـىـ الـبـوـصـيرـيـ عـنـ دـاخـتـامـ الـقـصـيـدـةـ الـدـالـيـةـ، بـدـأـيـظـهـ شـوـقـاـلـيـارـقـرـوـلـهـ - صـلـىـ
الـلـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - قـائـلاـ:

وـإـنـيـ لـأـرـجـوـ أـنـ يـقـرـبـنـيـ إـلـىـ
جـنـابـكـ أـرـقـالـ الرـكـائـبـ وـالـوـخـدـ
وـكـمـاـقـالـ فـيـ الـقـصـيـدـةـ الـأـخـرـىـ الـتـيـ مـطـلـعـهـاـ:

سـارـتـ الـعـيـرـ بـرـجـعـنـ الـحـنـينـاـ
وـيـجـازـبـنـ مـنـ الشـوـقـ الـأـئـيـنـاـ

شـاعـرـنـاـ خـواـجـةـ غـلامـ فـرـيدـ نـظـمـ قـصـائـدـ مـتـعـدـدـةـ فـيـ مـدـيـحـ الـبـيـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -
فـنـجـدـهـ مـثـلـ الـبـوـصـيرـيـ يـبـيـنـ شـوـقـهـ لـزـيـارـةـ الرـسـولـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - وـيـهـوـيـهـ وـيـقـدـمـ دـعـوـتـهـ إـلـيـهـ
بـأـنـ يـأـتـيـ إـلـيـهـ، وـيـشـاهـدـ بـيـتـهـ الـحـزـينـ، وـكـمـانـرـىـ الشـاعـرـ خـواـجـةـ يـتـجـوـلـ فـيـ الـأـمـاـكـنـ الـمـخـلـفـةـ فـيـ
طـلـبـ حـبـيـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - حـتـىـ يـنـجـحـ فـيـ بـحـثـ وـطـلـبـ حـبـيـهـ الـكـرـيمـ، وـنـذـكـرـ قـصـيـدـتـهـ

الـمـدـحـيـتـهـ الـنـبـويـهـ، وـنـرـىـ نـجـاحـهـ فـيـ التـعـبـيرـ عـنـ مـشـاعـرـهـ مـاـمـعـناـهـ:

"أـنـاـ أـقـضـيـ حـيـاتـيـ هـنـاـ مـضـطـرـبـاـ، هـوـيـسـكـنـ فـيـ بـلـادـ الـعـرـبـ فـرـحـاـ.

يـهـوـاهـ قـلـبـيـ كـلـ آـوـنـةـ، حـبـهـ يـزـدـادـ فـيـ قـلـبـيـ الـقـفـرـ شـدـيـداـ.

يـتـكـىـ قـلـبـيـ الـمـتـأـلـمـ عـلـىـ الـهـمـومـ وـالـأـحـزـانـ الـتـيـ اـجـتـمـعـتـ فـيـهـ جـمـاـ.

أـنـاـ مـحـترـقـ الـقـلـبـ أـدـورـ فـيـ بـحـثـ الـحـبـيـبـ، فـيـ السـنـدـوـ الـهـنـدـوـ الـبـنـجـابـ وـمـاـراـ.

قـدـأـبـحـثـ عـنـهـ فـيـ الـأـسـوـاقـ، وـفـيـ الـقـرـىـ لـعـلـىـ أـقـبـلـهـ مـكـانـاـ.

مـنـذـأـنـ جـرـحـنـيـ أـسـدـ الـعـشـقـ، اـنـتـهـتـ الـمـسـرـاتـ وـزـادـتـ الـمـصـاعـبـ كـثـيـراـ.

وـلـمـ يـقـ الشـبـابـ وـلـاـ حـمـاسـتـهـ، غـابـتـ الـطـمـانـيـنـةـ وـالـرـاحـةـ مـعـ مـلـامـحـهـ.

أـطـوـفـ هـنـاـ وـهـنـاـكـ، وـقـفتـ نـفـسـيـ عـلـىـ اـسـمـكـ مـجـاـنـاـ.

وـأـنـاـ جـارـيـةـ لـجـوـارـيـكـ، حـتـىـ أـحـتـرـمـ كـلـابـ بـابـكـ كـثـيـراـ.

سبحان الله! يا حبيبي الجميل و صديقي الوفي! و يا ساكـن وطن الحجاز المقدـس!
تفضـل قليـلاً و شاهـد بـيت "فريـد" الحـزين، هو في انتـظاركـ منـذ الولـادة" (۵۶)

2- فراق الحبيب

وهـذا من مـتابـعـ الحـبـ بـأـنـ المـحبـ لاـ يـوقـقـ وـصالـ الحـبـيبـ وـيـواجهـ الفـراقـ فـيـ أـكـثـرـ
الـأـحـايـينـ، فـشـاعـرـناـ خـواـجـةـ غـلامـ فـريـدـ مـرـ فيـ هـذـهـ الـكـيـفـيـةـ فـبـدـأـ يـذـكـرـهاـ فـيـ شـعـرـهـ كـثـيرـاـ حتـىـ قالـ
فيـ الشـعـرـ القـادـمـ بـأـنـهـ هوـ قـرـبـ الموـتـ لـأـجلـ الفـراقـ:
"كـدـثـ أـمـوـتـ باـكـيـافـيـ فـرـاقـكـ يـاـ حـبـيـبيـ، يـاـ لـيـتـكـ تـعـودـ!" (۵۷)

3- دوام ذكر الحبيب:

كمـاـ يـقـالـ "مـنـ أـحـبـ شـيـئـاـ فـأـكـثـرـ ذـكـرـهـ"، فـرـىـ شـاعـرـناـ خـواـجـةـ غـلامـ فـريـدـ يـنـصـحـ المـحبـينـ
بـدوـامـ ذـكـرـ الحـبـيبـ بـأـنـهـ:
"هـوـ أـحـدـ نـفـسـهـ كـمـاـ هـوـ أـحـمـدـ، فـخـلـبـ فـؤـادـنـاـ مـخـتـفـيـاـ نـفـسـهـ بـحـرـفـ "مـيمـ"ـ، يـاـ
فـريـدـ! أـنـتـ تـذـكـرـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ دـائـمـاـ أـبـداـ" (۵۸)

4- دوام وصال الحبيب

قالـ خـواـجـةـ غـلامـ فـريـدـ فـيـ مـكـانـ وـاحـدـ مـنـ دـيـوانـهـ عـنـ وـصالـ الحـبـيبــ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ
وـسـلـمــ، وـهـوـ مـنـ أـهـمـ شـعـرـهـ فـيـهـ:
"الـذـيـ فـيـ طـلـبـهـ كـلـ النـاسـ، يـوـجـدـلـدـ "فـريـدـ"ـ فـيـ كـلـ الـوقـتـ" (۵۹)

بـ- وصف الوطن (الحجاز) والأماكن المقدسة وما فيها

وصف خـواـجـةـ غـلامـ فـريـدـ فـيـ بعضـ القـصـائـدـ الـحـجازـ الـمـقـدـسـ وـبـلـدـيـهـ الـكـرـيـمـيـنـ (مـكـةـ
وـالـمـدـيـنـةـ)، وـأـشـيـاءـهـماـ الـمـحـبـوـبـةـ بـسـبـبـ حـبـيـبـهــ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمــ وـيـقـالـ:ـ "مـنـ يـحـبـ
شـخـصـاـ يـحـبـ ماـ حـولـهـ مـنـ الـأـشـيـاءـ"ـ، وـلـاشـكـ فـيـهـ بـأـنـ هـاتـيـنـ الـبـلـدـيـنـ مـنـ أـحـبـ الـبـلـادـ وـأـطـيـبـهـاـ عـلـىـ
سـطـحـ الـأـرـضـ عـنـدـ اللـهـ تـعـالـىـ وـرـسـوـلـهـ الـعـظـيمــ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمــ.

1- وصف وطن العرب

خـواـجـةـ غـلامـ فـريـدـ يـحـبـ الـعـربـ وـكـلـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـهـمـ مـنـ الـعـادـاتـ وـالـتـقـالـيدـ وـحـبـ الـوـطـنـ مـنـ

أعمال قلبه، ويغتر عن ذلك في الشعر العربي مامعنـاه:

"وطن العرب وطن الطرب والفرح وهو كحديقة خضراء ذات بهجة" (٤٠)

وهكذا يضيف خواجة غلام فريـد قائلاً عن عادات العرب مامعنـاه:

"عادات العرب تنشـيء المودـة والحب في القلوب" (٤١)

ثم قال خواجة غلام فريـد في مكان آخر معجـباً عن تقـاليـد العرب وعادـاتـهم، وما أحسنـ ما

قال فيها حتى يفوق حـبـ العرب ووطـنـهم على شـعـبـهـ وقبـيلـتهـ ووطـنـهـ، وـهـاـ هوـ ماـمـعنـاهـ:

"ما أـعـجبـ تقـاليـدـ العربـ وـماـأـحـسـنـ أوـضـاعـهـمـ وأـقـدـارـهـمـ التيـ تـأـخـذـ بـمـجـامـعـ

قلـوبـناـ.ـ حتـىـ أـنـاـ الـمـسـلـمـينـ نـسـيـ الـحـنـينـ إـلـىـ أـوـطـانـاـ وـنـفـدـيـهـمـ بـأـرـواـحـنـاـ وـشـعـوبـناـ

وـقـبـائـلـنـاـ.ـ يـزـدـادـ الـحـنـينـ فـيـ كـلـ حـيـنـ،ـ وـحـبـ الـعـربـ مـنـ الإـيمـانـ عـنـدـنـاـ" (٤٢)

2- وصف المدينة المنورة

أـ هـذـهـ هيـ القـصـيـدةـ الـهـامـةـ الـتـيـ قـامـ فـيـهاـ بـوـصـفـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـوـرـةـ،ـ وـقـرـضـهـاـ أـثـنـاءـ أـيـامـ

الـحـجـ:

"توـصلـتـ المـدـيـنـةـ الـمـنـوـرـةـ،ـ وـأـنـأـفـدـيـهـاـ نـفـسـيـ مـرـأـةـ" .

عادـتـ لـمـحـاتـ الـاطـمـيـنـانـ وـالـسـكـونـ،ـ اـرـتـحلـ مـنـيـ الـحـزـنـ الـقـدـيمـ.

أـيـهـاـ الـقـلـيبـ الـمـغـارـ لـاتـبـكـ،ـ وـأـيـهـاـ الصـدـرـ الـمـتـضـايـقـ لـاـتـحزـنـ.

طـلـعـتـ شـمـسـ الـذـهـبـ،ـ جـاءـ الشـهـرـ الطـيـبـ بـالـسـعـادـاتـ وـالـمـسـرـاتـ.

يـتـلـلـأـ الـحـرـمـ الـمـعـلـىـ وـيـتـرـقـقـ،ـ وـهـيـ الـتـيـ الـمـرـأـةـ الـمـنـوـرـةـ.

أـرـضـ الـعـربـ كـلـهـاـ رـاـصـافـيـةـ كـالـفـصـ.

يـجـدـ كـلـ مـاـيـرـيـدـهـ مـنـ عـنـدـهـ الصـدـقـ وـالـيـقـنـ الـكـامـلـ.

غـادرـهـ الشـيـطـانـ،ـ وـمـاتـ النـفـسـ الـأـمـارـةـ" (٤٣)

بـ- وـقـالـ فـيـ قـصـيـدةـ أـخـرىـ فـيـ وـصـفـ هـذـهـ الـمـدـيـنـةـ الـطـيـبـةـ الـتـيـ كـانـتـ مـنـ أـحـبـ الـمـدنـ إـلـىـ

صـاحـبـهـ الـكـرـيمـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:-

"أـنـأـفـدـيـهـاـ أـلـفـ مـرـةـ،ـ وـأـحـبـهـاـ كـثـيرـاـ."

أـشـعـرـ فـرـحـاـيـ فـدـاءـ نـفـسـيـ وـرـأـيـ عـلـىـ الـحـبـيـبـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ لـأـنـ كـلـاـ مـنـهـمـاـلـهـ.ـ الـأـوـدـيـةـ

إلى طريق المدينة هي أنموذج جنة الفردوس.

هنا نجد مواسم العيش الرغيد والخضراء، وينزل مطر السكون والراحة في كل لحظة.
لاتوجد علامات الغم والحزن.

جاءت أرض الحسن والجمال، ونرى الخضراء في كل شيء.
ازدادت المسرة كل يوم، وانتهت الآلام والغموم" (٤٣).

جـ- وذكر في قصيدة أخرى عن زيارته للمدينة العالية، وأحسن ما قال فيها:
"أنزرت المدينة العالية أيضًا، وهناك يستريح حبيب الكون والمكان.

هذه الأرض تطهرت من جميع العيوب والنقصان، وتنزل هنا أنوار الرسالة في أربعة وعشرين
ساعة.

كيف ننسى مسكن الحبيب، وأصبحت عيوننا حمراء لأجل البكاء الدائم له.
نأتي هنا مرارًا لو قدر الله تعالى لنا، أو جعلناه المستقر الدائمي بعد ترك الوطن الأصلي.
ولو نواجه متاعب السفر الكثيرة وقد نجرح أيضًا، لكن عيوننا تنظر دائمًا إلى منارة الرسول
الحضراء.

تنورت نار المحبة في الجسم، والقلب يتمتع من هذا الألم الذي (٤٥).

3- وصف مكة وأشياءها

والقصيدة الأخرى التي عبر فيها عن مشاعره حول مكة المكرمة وحياته لأشياءها المتعددة من
الأحجار والتراب ونسيم الصباح والفاكه والخضروات وهذه مثل الجنة فيها حور وقصور:
"زرت في حياتي المستعارة مكة، وهي المدينة المباركة سماها القرآن بيكة.

كل لمحه تضيف بها السمع والفرح، وتزيد الراحة والمسرة.
يدوم هطول الأنوار في كل آن، وقد ينجح البعض والآخرون يتبعون.
أحجار هذه الأرض كخراث الأزهار، ويتمتع بترابها كل حاف الورد.
نسيم الصباح محبب لدى، يهوي الحجاج بالمرودة حتى الصباح.
توجد الفواكه والخضروات بالكثرة، منها الرمان والبطيخ وتتمتع بها.
هذا هو بلد نوري مقدس، وجنة ذات حور وقصور.

لـ یـ اتـی هـ نـا إـ لـ اـ حـ اـ شـ قـ صـ اـ دـ قـ فـی اـ حـ بـ وـ طـ بـ نـةـ الـ خـ اـ سـ الـ

4- وصف القبلة والكعبة والتلميحات

قام خواجة غلام فرید بوصف الكعبة المعظمة والقبلة المقدسة في قصيدة الطويلة والأولى في
ديوانه المطبوع قائلاً:

1- هذه هي القبلة المقدسة العالية تطهرت من كل العيوب والنقصان۔ (۲۷)

فأشار خواجة في هذا البيت إلى الواقعـة التي جاءـت في القرآن الـكـرـيم حينـما أمر الله تعالى نـبـيـه
إـبرـاهـيمـ عـلـيـهـ السـلـامـ: ﴿طـهـرـ اـبـيـتـيـ لـلـطـائـفـيـنـ﴾ (۲۸)

وقـالـ بـعـدـهـ عـنـ القـبـلـةـ هـذـهـ هيـ مـقـامـ الـطـلـبـ وـالـسـؤـالـ:

2- "كل العـبـادـ مـنـ الصـغـارـ وـالـكـبـارـ جـاءـوـ اـسـائـلـيـنـ هـنـاـوـ يـجـدـونـ ماـ يـطـلـبـونـ عـنـدـهـاـ" (۲۹)

أـشـارـ الشـاعـرـ هـنـاـ إـلـىـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ: ﴿أـجـنـبـ ذـغـوـةـ الدـأـعـ إـلـىـ ذـخـانـ﴾ (۲۰)

ثـمـ قـالـ عـنـ عـظـمـةـ الـكـعـبـةـ بـأـنـهـاـ مـأـمـونـ وـمـرـكـزـ الرـحـمـةـ:

3- "هـذـاـ هـوـ مـكـانـ اللهـ ذـوـ أـمـنـ عـظـيمـ، وـحـرـمـ اللهـ الـمـحـرـمـ.

بـيـتـ اللهـ الـمـكـرـمـ، وـهـيـ مـرـكـزـ الرـحـمـةـ" (۲۱)

فـأـشـارـ الشـاعـرـ خـواـجـةـ هـنـاـ إـلـىـ قـوـلـهـ: ﴿جـعـلـ اللهـ الـكـعـبـةـ الـبـيـتـ الـحـرـامـ﴾ (۲۲)

ثـمـ ذـكـرـ عـنـ دـخـلـ الـبـيـتـ الـحـرـامـ كـانـ آـمـنـاـقـائـلـاـ:

4- "الـذـيـ دـخـلـ الـبـيـتـ الـحـرـامـ فـهـوـ فـيـ أـمـانـ اللهـ الـتـعـالـيـ" (۲۳)

فـالـمـعـنـىـ الـذـيـ جـاءـ بـهـ الشـاعـرـ فـيـ هـذـاـ الـبـيـتـ موـافـقـ لـقـوـلـهـ: ﴿مـنـ دـخـلـهـ كـانـ آـمـنـاـ﴾ (۲۴)

ثـمـ قـالـ مـشـيـرـاـ إـلـىـ الـوـاقـعـةـ الـمـعـرـوفـةـ الـتـيـ جـاءـتـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ:

5- "اذـكـرـ الـحـرـمـ الشـرـيفـ وـضـعـ أـمـامـكـ الحـزـنـ الـقـدـيمـ.

الـقـلـبـ يـتـرـغـبـ فـيـ أـكـلـ السـمـ لـعـدـمـ الرـغـبـةـ فـيـ الـحـيـاـةـ الـفـانـيـةـ دـوـنـ الجـيـبـ" (۲۵)

هـذـهـ الـوـاقـعـةـ الـمـعـرـوفـةـ باـسـمـ ﴿أـلـلـهـ بـرـتـكـمـ﴾ (۲۶)، ذـكـرـهاـ الـقـرـآنـ، وـكـمـاـ يـنـصـحـ النـاسـ

فـيـ بـداـيـةـ الـشـعـرـ لـذـكـرـ اللهـ وـقـالـ قـوـلـهـ: ﴿فـاـذـكـرـ ذـكـرـنـيـ أـذـكـرـ كـمـ وـاـشـكـرـ وـالـيـ وـلـاـ تـكـفـرـنـ﴾.

ثـمـ ذـكـرـ عـودـهـ إـلـىـ الـبـيـتـ بـعـدـ تـأـدـيـةـ فـرـيـضـةـ الـحـجـ وـحـنـيـهـ إـلـىـ حـبـيـبـهـ الـبـارـيـ تـعـالـيـ قـائـلـاـ:

6- "الآن جاء وقت الرجوع إلى البيت، وتذكـرناآلاف من ذكريات الأسرة والوطن.

لكن القلب يحن إلى حبيه تعالى، ولا يحب الاستقرار في أي مكان من البيت والمدينة والسوق" (۷۷) .

ثم يذكر ما يجده في قلبه الآيات المرجـأ إلى الحرم المـكي والقيام بالطواف حوله:

7- "ونـؤدي فـريضة الطـواف حول الكـعبة في الزـحام الشـديد إن وافق الـقدر في المستـقبل" (۷۸)

5- وصف جمال العرب البدوية

كان خواجة غلام فـريد يـحب كل ما في الوطن العربي حتى الجـمال فقال خواجة غلام

فـريد عن جـمال العرب الـبدوية:

"الـجمال الـبدوية الـعربـية كالـشـمـس والـقـمر.

يـفـوق جـمالـها عـلـى الـكـلـ، وـهـيـ قـطـعـاتـ مـنـ قـلـوبـنـا" (۷۹)

بعد هذا التـجوـال السـريع مع الشـاعـر خـواـجه غـلام فـريد وـشـعـره خـلال هـذا المـقال

المـتواـضـع فقدـتوـصـلـنـا إـلـى الأمـورـ النـالـيـةـ:

1- كـونـ نـشـأـةـ خـواـجه غـلام فـريدـ في حـضـنـ أـسـرـةـ مـتـدـيـنـةـ جـعلـهـ يـرـتـويـ مـنـ الفـضـاءـ الـعـلـمـيـ وـيـتـرـبـيـ عـلـىـ الفـضـائـلـ الـحـمـيدـةـ وـالـأـخـلـاقـ الـطـيـةـ.

2- كـونـ إـلـامـ خـواـجه غـلام فـريدـ بـالـعـلـومـ وـالـفـنـونـ الـكـثـيرـةـ وـالـلـغـاتـ الـمـتـعـدـدـةـ جـعلـشـاعـرـناـ مـطـبـوـعـاـ وـأـشـعـارـهـ مـلـيـئـةـ بـالـصـورـ الـجـمـيلـةـ وـالـمعـانـيـ الـلـطـيفـةـ.

3- كـونـ إـلـامـ خـواـجه غـلام فـريدـ بـالـعـلـومـ الـإـسـلـامـيـةـ جـعلـأـكـثـرـ قـصـائـدـهـ مـلـيـئـةـ بـأـسـمـاءـ الـكـتـبـ السـماـوـيـةـ وـالـمـصـنـفـاتـ الـدـرـاسـيـةـ وـالـعـلـومـ الـإـسـلـامـيـةـ.

4- كـونـ عـلـاقـةـ الشـاعـرـ خـواـجهـ الـوثـيقـةـ بـالـعـلـومـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ جـعلـتـأـكـثـرـ أـشـعـارـهـ مـقـتبـسـةـ مـنـ الـآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ وـالـأـحـادـيـثـ النـبـوـيـةـ أوـ مـعـتـرـةـ عـنـ معـانـيـهـاـ.

5- كـونـ الـعـرـبـيـةـ لـغـةـ الـدـيـنـ الـإـسـلـامـيـ جـعلـمـعـظـمـ أـشـعـارـ الشـاعـرـ خـواـجهـ مـوـظـفـةـ الـجـملـ وـالـتـرـاكـيـبـ الـعـرـبـيـةـ.

6- كـونـ الـعـرـبـ وـعـادـاتـهـمـ الـطـيـةـ مـحـبـيـةـ جـدـاـلـدـىـ الشـاعـرـ خـواـجهـ جـعلـمـعـظـمـ أـشـعـارـ خـواـجهـ غـلامـ فـريدـ مـعـتـرـةـ عـنـ هـذـهـ الـأـحـاسـيـسـ وـالـمـشـاعـرـ مـشـلـ "ـوـطـنـ الـعـرـبـ وـطـنـ الـطـربـ وـالـفـرـحـ

- وهو كحدیقة خضراء ذات بهجة، و "عادات العرب وأقدارهم تنسئ المودة والمحبة في القلوب" و "أفديك نفسی ألف مرأة أيتها الأرض المقدسة"، وغيرها.
- 7 كون ذات الحبيب- صلى الله عليه وسلم محبوبًا لدى الشاعر خواجة غلام فريد جعل معظم أشعار الشاعر خواجة مديح النبي الكريم- صلى الله عليه وسلم .
- 8 كون خواجة غلام فريد عالماً كبيراً وصوفياً ممتازاً جعل معظم أبيات موظفة حبَ الله تعالى وحبَ رسوله الكريم، وذلك نرى وصف العرب ولبلديه الكريمتين من مكة والمدينة الكثير في أبيات، بالإضافة إلى بيان فضائل الكعبة المشرفة والحرم النبوى الشريف.

○○○

الهوامش والمصادر

- ۱- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، ۱۹۷۲م، ص: ۲۷۶
- ۲- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة سير، بيروت: دار صادر، ۱۹۹۳م
- ۳- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة سير، بيروت: مؤسسة الرسالة، ۱۹۸۷م
- ۴- عبد النور جبور، المعجم الأدبي، لبنان: دار العلم للملائين، الطبعة الثانية، ۱۹۸۳م، ص: ۱۲۳
- ۵- صامل السلمي وآخرون، صحيح الأثر، بيروت: دار صادر، ۱۹۹۳م، ص: ۱۲
- ۶- الأحزاب: ۲۱
- ۷- التوبة: ۱۰۰
- ۸- دائرة المعارف الإسلامية بالأردية: مجموعة من الباحثين، جامعة بنجاب، لاهور، ۱۹۷۵م/۱۵۳۵ھ
- ۹- محمد أنور فيروز، گوہر شب چراغ، بهاولپور، سرائیکی ادبی مجلس، الطبعة الثالثة، ۱۹۹۹م، ص: ۳۱
- ۱۰- مولوي نور أحمد فریدی، شرح دیوان فرید، ملتان: قصر الأدب رائٹر کالونی، الطبعة الأولى، ۱۹۷۸م، ۱۳۹۱ھ
- ۱۱- هذا المنهج منسوب إلى نظام الدين بن قطب الدين بن عبد الحليم الأنصاري ولد بـ "سهالي" ، وانتقل إلى "لكھنو" بعد وفاة أبيه مع صته الكبیر محمد سعید، واستكئن في محلة "فرنکی محل" الذي أعطى عالمکیر بن شاھجهان قصراً بذلك لأبيه وما بعدهما استقرَ فيه، وسافر إلى بلدة "جائس" لطلب العلم، فقرأ أكثر الكتب هناك، ثم رجع إلى "لكھنو" ، وقرأ ما فاته من الفنون حتى فرغ من الدراسة وبرع فيها، فأصبح عالماً كبيراً. فيقول عبد الحسني عنه: "... وغيث الإفادة الھتون العالم بالربع المskون، أستاذ الأساتذة، وإمام الجھابذة، له مصنفات عدّة منها: "شرح على مسلم الشوت" للشيخ محب الدين البهاري و"شرح منار الأصول" و"شرح تحرير الأصول" وغيرها من المؤلفات، وتوفي سنة ۱۱۶۱ھـ. انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والتواظر، عبد الحسني، ج 2، ص 383-385، دائرة المعارف العثمانية بالھند، الطبعة الثانية، ۱۳۹۸ھـ. وقد نال هذا النظام

قبوًّاً عَمَّا لَدِي الْعُلَمَاء حَيْثُ تَسُودُ جَمِيعُ الْمَدَارِسِ وَالجَامِعَاتِ الدِّينِيَّةِ فِي شَبَهِ الْقَارَةِ الْهَنْدِيَّةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ مِنْذُ تَأْسِيسِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا إِلَّا أَنَّهُ أَضِيفَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْكِتَابَاتِ بَعْدِ عَصْرِ مَرْتَبَتِهِ، وَخَصَائِصُ هَذَا النَّظَامِ بَأَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى الْعِلُومِ كَلْمَنِ الْصِّرْفِ وَالنَّحْوِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْمَنْطَقِ وَالْحِكْمَةِ وَالرِّياضِيَّةِ وَالْفَقْهِ وَأَصْوَلِ الْفَقْهِ وَالْكَلَامِ وَالْمَنَاظِرَةِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ، وَلَذِلِكَ يَحْصُلُ لِلطلَّابَ بَعْدِ الْمَدَارِسَةِ قَوْةً الْمَطَالِعَةِ وَدَقَّةَ الْنَّظرِ وَالْإِسْتَعْدَادِ لِتَحْصِيلِ الْكَمَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَإِنْ كَانُوا لَا يَكْمَلُونَ بِالْفَعْلِ. انظر: الثقافة الإسلامية في الهند، عبد الحي الحسني، ص ۱۷-۱۵، مطبعة خالد بن ولید، طبعة دمشق ۱۹۸۳م.

- ۱۲- دائرة المعارف الإسلامية بالأردية: مجموعة من الباحثين، ۱۵/۳۳۵، ص: ۱۲
- ۱۳- خواجة غلام فريدياران كاخاندان، ص: ۲۲
- ۱۴- المصدر نفسه، ص: ۲۵
- ۱۵- "خواجه فرييد کے کلام پر عربی زبان کے اثرات" المقال المنشور في مجلة "التحقيق" التي تصدر من جامعة بن جاہ لاهور، العدد: ۱۹، ۲۲/۸۲-۸۳، م ۱۹۹۸
- ۱۶- خواجة فرييد (حيات و شاعري)، ص: ۲۷
- ۱۷- خواجة غلام فريدياران كاخاندان، ص: ۲۵
- ۱۸- "خواجه فرييد کے کلام پر عربی زبان کے اثرات": مقال الدكتور محمد أفضل ربانی، ص: ۱
- ۱۹- خواجة فرييد (حيات و شاعري)، ص: ۲۳-۲۵
- ۲۰- مقدمة شرح ديوان فرييد، مولوي نور أحمد فريدي، ص: ۱۰۱
- ۲۱- "خواجه فرييد کے کلام پر عربی زبان کے اثرات": مقال الدكتور محمد أفضل ربانی، ص: ۱
- ۲۲- كتب حول هذه المنشورة أبو عبد الرحمن غلام دستكير كتاباً مستقلّاً باسم "تقدير الوكيل عن توهين الرشيد والخليل"، المطبوع من نوري كتب خانة سنة ۱۹۹۹م، ويشمل هذا الكتاب ۲۲۶ صفحة.
- ۲۳- محمد أسلم ميتلة، فريدي ناما، ملتان: بزم ثقافت، ۱۹۹۹م، ص: ۱۰۵-۲
- ۲۴- خواجة فرييد (حيات و شاعري)، ص: ۲۲
- ۲۵- مقدمة ديوان فرييد (مولانا عزيز الرحمن عزيز)، ص: ۱۰۷
- ۲۶- "خواجه فرييد کے کلام پر عربی زبان کے اثرات": مقال الدكتور محمد أفضل ربانی، ص: ۱
- ۲۷- دكتور كرستوفر شيكيل كان باحثاً مستشاراً جاء من لندن، فدرس اللغة السرائيكية، وكتب رسالته في مرحلة الدكتوراه بعنوان: "Siraiki Language and Literature" أي اللغة

- السرائیکیہ و ادبها، وترجم أيضًا خمسین قصيدة لخواجة غلام فرید من السرائیکیہ إلى الإنجلیزیہ باسم "Khawaja Ghulam Fareed Fifty Poems Of". انظر: فریدنامہ، أسلم میتله، ص: ۲۲۲
- ۲۸۔ فریدنامہ، ص: ۲۰۱-۲۷۱
- ۲۹۔ جاوید جاندیو، دیوان فرید، بھاولپور، سرائیکی ادبی مجلس، ۱۹۹۹م، ص: ۲۱
- ۳۰۔ "خواجہ فرید کے کلام پر عربی زبان کے اثرات": مقال الدکتور محمد افضل ربانی، ص: ۲۶
- ۳۱۔ الانعام: ۱۰۳
- ۳۲۔ الفرقان: ۲۵
- ۳۳۔ اللیل: ۱
- ۳۴۔ النون: ۱
- ۳۵۔ التین: ۱
- ۳۶۔ الشمس: ۱
- ۳۷۔ الصافات: ۱
- ۳۸۔ الفجر: ۳
- ۳۹۔ المریم: ۵۷
- ۴۰۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۲۳
- ۴۱۔ مستند احمد بن حنبل، بیروت: دار صادر، ۳۷۰۰۲
- ۴۲۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۸۷
- ۴۳۔ محمد بن علی الشوکانی، الفوائد المجموعۃ، القاهرة، ۱۹۶۰م، ص: ۷۲
- ۴۴۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۲۳
- ۴۵۔ ایضاً
- ۴۶۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۲۹
- ۴۷۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۵۵
- ۴۸۔ محمد مرتضی الزبیدی، تاج العروس، مصر: المطبعة الخیریۃ، ۱۳۰۶ھ/۲۰۰۲ء
- ۴۹۔ سامي الدهان، المدیح من فنون الأدب العربي، قاهرة: دار المعارف، ص: ۱۷-۲۷
- ۵۰۔ دیوان حسان بن ثابت الانصاری، بیروت: دار صادر، ص: ۰۱
- ۵۱۔ دیوان البوصیری، تحقيق محمد سعید الكيلاني، القاهرة، ۱۳۷۲ھ، ص: ۰۳
- ۵۲۔ المصدر السابق، ص: ۲۹

۵۲۔ الشوقیات، دارالیوسف، ۱۹۸۱م، ۲۳۰

۵۳۔ دیوان البوصیری، تحقیق الکیلانی، ص: ۶۳، ۶۹

۵۴۔ المصدر السابق، ص: ۶۹

۵۵۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۲۲

۵۶۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۷۹

۵۷۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱۳۳

۵۸۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۹۷

۵۹۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱۳۵

۶۰۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۸۲

۶۱۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱۵۲

۶۲۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱۵۳

۶۳۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۸۲

۶۴۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱۵۶

۶۵۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱۵۷

۶۶۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱۵۸

۶۷۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱

۶۸۔ الحج: ۲۲

۶۹۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱

۷۰۔ البقرة: ۱۸۳

۷۱۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱

۷۲۔ المائدة: ۷۹

۷۳۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱

۷۴۔آل عمران: ۷۹

۷۵۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱

۷۶۔ الأعراف: ۷۲

۷۷۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱

۷۸۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۱

۷۹۔ دیوان فرید، رقم القصيدة: ۸۷